فضائل القدس والمسجد الأقصى مقارنة بالمسجد الحرام

"دراسة قرآنية تحليلية موضوعية"

د. علي عبد الله علي علان (*)

ملخص

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان فضائل القدس والمسجد الأقصى عبر الزمان وفضائلهما آخر الزمان برؤية قرآنية، والاستدلال على مكانتهما؛ تعزيزًا لِشأنهما في قلوب المسلمين دفعًا للألم وبعثًا للأمل.

منهجية الدراسة:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي لآيات القرآن الكريم ـ ذات العلاقة ـ وكتب مفسرين، ثم الوصف لنتائج الاستقراء، بحسب معطيات المنهج التحليلي والاستنباطي والمقارن؛ حيث يُعلم فضل الشيء بإلحاق المثيل بمثيله، ومناظرة القرين بقرينه، فقارنت الدراسة بين القدس ومكة، وبين المسجد الأقصى والمسجد الحرام؛ للوصول إلى النتائج المرادة بمقتضى الأهداف المقررة، وبحسب منهجية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

النتائج:

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج منها: المسجد الأقصى مبارك فيه ومبارك ما حوله حتى غدا بركة للعالمين، بينما المسجد الحرام هدى للعالمين. وأقسم الله بالقدس ومسجده ومكة ومسجدها تعظيمًا لشأنها. وسنته الربانية التشريعية في أن مكة البلد الآمن

(*) أستاذ مشارك (أ)، قسم العلوم الأساسية – جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن.
dr.aliallan@bau.edu.jo
aliallan1@hotmil.com
https://orcid.org/0009-0002-1568-6212

والحرام والقدس حظيت بتقديس إلاهي ومباركة. وبينت الدراسة مكانتها بقِدم بناء المسجد الأقصى قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي يعني فضله بأسبقية عبادة الله فيه بعد المسجد الحرام.

الخلاصة:

خلصت الدراسة بعد المقارنة والمقابلة بين القدس ومكة، وبين المسجد الأقصى والمسجد الحرام، إلى أن من الفضائل ما انفرد به أحدهما ومنها ما هو متقابل أو مشترك، فيما يؤكد مكانتهما. ومن التوصيات استنهاض همم المستهدفين، بتعلم الفضائل، وتوعيتهم بها؛ لأنها عبادة لله.

الكلمات المفتاحية:

المسجد الأقصى، المسجد الأقصى في القرآن الكريم، فضل القدس، فضائل بيت المقدس، فضل المسجد الأقصى، فضل المسجد الحرام.

The Virtues of Jerusalem and Al-Aqsa Mosque in comparison with Al-Masjid Al-Haram
"A Qur'anic Analytical Objective Study"

By

DR. Ali Abdallah Ali Allan

Department of Basic Sciences - Al-Balqa' Applied University - Jordan

Abstract

Objectives:

This study aims to elucidate the virtues of Jerusalem and Al-Aqsa Mosque across time and their virtues in the end times, through a Quranic perspective. It seeks to establish their esteemed status to reinforce their significance in the hearts of Muslims, as a means of alleviating pain and inspiring hope.

Methods:

The researcher employed an inductive approach, analyzing relevant Quranic verses and works of exegetes, then descriptively presenting the outcomes. Additionally, analytical, inferential, and comparative methods were applied—comparing analogous elements to highlight virtues. The study specifically compared Jerusalem with Mecca, and Al-Aqsa Mosque with the Sacred Mosque in Mecca, to achieve its objectives, following the thematic Quranic interpretation method.

Results:

The study reached several findings that Allah has sworn by both Jerusalem and its mosque, as well as Mecca and its mosque, to elevate their status. His divine legislative decree is that Mecca is secure, and Jerusalem is blessed. The study also highlights the significance of Al-Aqsa Mosque, noting that its construction predates that of the Prophet Abraham, underscoring its distinction as a place of worship second only to the Sacred Mosque.

Conclusion:

Through comparative analysis, the study concludes that each site has unique virtues, with some overlapping or complementary qualities that reinforce their significance. The study recommends raising awareness about these virtues, emphasizing that understanding them is an act of worship.

Keywords:

Al-Aqsa Mosque, Al-Aqsa Mosque in the Quran, Jerusalem's Virtues, Al-Quds Virtues, Al-Aqsa Mosque's Virtues, Al-Haram Mosque's Virtues.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله الدالّ على سعادة الدنيا وفلاح الآخرة، ومورد هداية للناس لا يَنضب، يَصدر عنه كل ظمآن ريّان، ولا يَفتُر عن العَود إليه بعد العَود في كل حال وزمان. ولا يعلم فضيلته وفضائل ما ورد فيه أو بيّنه من الأعمال والأحوال والأزمان والبلدان إلا من أجال النظر فيه، مع تفكر وتبصر –إنْ علاه الإخلاص وصاحبه– فيفتح الله عليه بصيرته، ومن فضله يُعلمه وبتوفيق إلى أحاسن الأعمال يُرشده.

والقرآن كلام الله الذي يَستشرف العلماء المتدبرون عِبق معانيه ومعالمه وحقائقه، والتي لا تنقضي ولا تعرف الانتهاء، مادام صوت القرآن يُعطر الأنام، وتُصغي إليه الآذان إلى أن يأذن الله برفعه قبيل الساعة آخر الزمان.

ومن معالم تجدد العلوم القرآنية دراسة موضوعات القرآن الكريم ضمن منهج "علم التفسير الموضوعي للموضوع القرآني"، فكانت هذه الدراسة في فضائل القدس والمسجد الأقصى في القرآن الكريم مقارنة بالمسجد الحرام.

أهمية الدراسة:

تأتي أهميتها في أنها أخذت على عاتقها دراسة فضائل المدينة الثالثة مكانة في الإسلام بعد بعثة سيد الأنام عليه السلام، والأولى في تاريخ سابق الزمان، أَلَا وهي فضائل القدس في القرآن الكريم لا سيما وقلبها المسجد الأقصى ثاني المساجد التي عُبِد فيه الله الرحمن، في وقت تُواجه تِلْكُم المدينة المقدسة تحديات كثيرة من اليهود، مع غُلُوٍ في بناء المستوطنات فيها بنشاط غير مسبوق من الصهاينة؛ وفي ظل تهويد للمسجد الأقصى منظم رسمي لا فردي، وجرائم حرب غير مسبوقة في تاريخ البشرية، ومحاولة تهجير قسري لأهلها؛ فتأتي الدراسة محاولة لِتُسهم في التخفيف من المعاناة وتثبيت أهلها، إذا ما ذُكروا بفضل المسجد الأقصى والقدس التي قامت الحرب لأجلها مقارنة بالمسجد الحرام، مما يزيدهم تمسكًا.

وبدراسة فضائلها نعلم لِما كانت عبر العصور مقصد الفاتحين، وعناية العالِمين، ومهوى العالَمين، وعهدة القادة الميامين، حتى غدت تاريخًا وحضارة وثقافة.

وبذلك يظهر لنا مقدار واجبنا وعظيم مثوبتنا في العمل: بالحفاظ على هُويتها وطهارة مسجدها، وتحديد التحديات التي تُواجهها وتَتَبُّعها لِمعالجتها، وقيمة المبادرات في تثبيت أهلها. فإنّ عِلْم فضائلهما يجعل ذلك تصورًا ثم فكرًا راسخًا ثم عقيدة في قلوب المسلمين وعبادة وتقربًا لله رب العالمين.

مشكلة الدراسة ومحدداتها:

تتحدد الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما هي فضائل المسجد الأقصى في القرآن الكريم مقارنة بالمسجد الحرام؟ ويترتب على ذلك المحددات الفرعية التالية:

- جمع الآيات التي تضمنت ذكر فضائل القدس والمسجد الأقصى المقترنة والمقابلة لمكة والمسجد الحرام.
- استنباط وجوه الاستدلال من الآيات على فضائل القدس والمسجد الأقصى.
- الاستشهاد بالأحاديث الصحيحة تأكيدًا لوجوه الاستدلال أو تكميلًا، بحسب منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.
- عرض أقوال علماء في بيان ذلك.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

- بيان فضل القدس والمسجد الأقصى.
- المقارنة بين فضائل القدس ومكة؛ للاستدلال على مكانتها.
- المقارنة بين فضائل المسجد الأقصى والبيت الحرام؛ للاستدلال على مكانته.

المنهجية:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي لآيات القرآن الكريم –ذات العلاقة– وكتب المفسرين، ثم الوصف لنتائج الاستقراء، بحسب معطيات المنهج التحليلي والاستنباطي والمقارن؛ للوصول إلى النتائج المرادة بمقتضى الأهداف المقررة، بحسب منهجية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة التوصل بعد المقارنة والمقابلة بين القدس ومكة، وبين المسجد الأقصى والمسجد الحرام، إلى الآتي:

- أن من الفضائل ما ينفرد به أحدهما.
- ومنها ما هو متقابل.
- ومنها ما هو مشترك.

الدراسات السابقة:

بعد التتبع والتقصي، لم أجد دراسة بحثية ولا أكاديمية تناولت فضائل القدس والمسجد الأقصى في القرآن الكريم على وجه الإفراد والتخصيص لا مفصلة ولا مجملة بالمقارنة بين القدس ومكة، وبين المسجد الأقصى والمسجد الحرام، ودراستي لا تتقاطع مع ما ورد في مقالات في مواقع إلكترونية أو صُحف، بإشارة قرآنية مجملة غير مستقلة، بل مجتمعة ببيان فضائل بيت المقدس في السنة؛ لتعدد الأحاديث في ذلك، ولا تتقاطع مع ما كُتب حول مفهوم الأرض المقدسة.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة بأهم النتائج والتوصيات وقائمة بأهم المصادر والمراجع، حيث تناولت في المبحث الأول القدس اسمها وقِدَم المسجد الأقصى والدلالة على فضلهما، ثم درست في المبحث الثاني فضائل القدس والمسجد الأقصى في القرآن الكريم عبر الزمان، ثم بينت في المبحث الثالث فضائل القدس والمسجد الأقصى آخر الزمان رؤية قرآنية. والله أسأل أن يجزي مشايخنا خير الجزاء، وأن يُوفقنا إلى كل ما يرضيه.

المبحث الأول: القدس اسمها وقِدَم المسجد الأقصى والدلالة على فضلهما

مما يحقق تصورًا سليمًا لفضائل القدس، بدراسة منهجية علمية أن ندرس دلالة مُسمّاها وعلاقته بأصل اللفظ في اللغة؛ لِما له من دلالات على فضلها، ثم البحث عن سبب اختصاصها بهذا الاسم، ومما يُسهم في هذا بيان قِدَم تِلْكُم المدينة بِقِدَم مسجدها، وهذا ما تكفل به المبحث الأول بمطلبيه.

المطلب الأول: القُدْس في اللغة ودلالة مُسمّاها على فضلها

- القُدْس في اللغة:

من قَدَسَ أو قَدُسَ، وأصل المعنى المادي عند العرب من قولهم: (القُدَاس): الْحَجَرُ الَّذِي يُنْصَبُ على مَصَبِّ الماء في الحوض[١]. قلت: ولمّا كان الحجر في مصب الماء لا يلحقه أذى أصبح الاستعمال المعنوي بمعنى التطهير، قال ابن فارس: "القُدْسُ والقُدُسُ : الطُهْرُ"[٢]. اسمٌ ومصدر [٣]. والنعت منه قُدُّوس وقَدُّوس [٤]. وتَقَدَّس: أي تطهَّر والتقديس: التطهير في الحديث النبوي [٥]. وقال ابن منظور: والتقديس: التطهير والتبريك [٦]. وقال

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (٧١١هـ)، بيروت، دار صادر، (ط٣)، ٢٠٠٤، (٤٠/١٢)، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (٨١٧هـ)، اعتنى به حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، (د. ط)، ٢٠٠٤، (ص١٣٧٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد، (٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، (ط١)، ١٩٧٩، (٦٤/٥).

(٣) مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، (ط٥)، ١٩٩٩، (١/ ١٩٣).

(٤) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، (بد. ط)، ١٩٩٦، (٢٤٧/٤).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٠٦هـ) المبارك بن محمد، تحقيق محمود الطناحي، بيروت، المكتبة الإسلامية، (د. ط)، (د. ت)، (٢٣/٤).

(٦) لسان العرب، ابن منظور، (٣٩/١٢-٤٠).

الراغب: التَّقْدِيسُ: التّطهير الإلهيّ، – قلت: وكأنه يقول ليس كل تطهير تقديسًا إلا إنْ كان من جهة الله، وهو الأصح – ومنه قيل للجنَّة حظيرة القُدْس، وقيل: للشّريعة حظيرة القُدْس، وكلاهما صحيح، فالشّريعة حظيرة منها يستفاد القُدْسُ، أي: الطّهارة، ـ قلت: حيث الجنة قَدّسها الله بتطهير إلاهي لمن تطهر بشريعة الله التي هي طهرته لعباده – وروح القُدُسِ: جبريل عليه السلام من حيث إنه ينزل بِالْقُدْسِ من الله، أي: بما يُطهّر به نفوسنا من القرآن والحِكْمة والفيض الإلهيّ [١]. وتقديس الله: تنزيه الله عز وجل [٢]. وقدّس الرجلُ: أتى بيت المقدس [٣]. والقُدُّوسُ: اسمٌ من أسماء الله تعالى، وهو ذلك المعنى؛ لأنه منزه عن الأضداد والأنداد والصاحبة والولد، وهو فُعُّولٌ من القُدْسِ، وهو الطهارة[٤]. وترى من أقوالهم: أن التطهير روحي بأثر هيبة من الله، ومعنوي من قُدسية المكان، ومادي بالتطهير من الذنوب، ولكن نردد قول الراغب بأن التقديس: التطهير إلاهي، فتطهير البشر لا يُسمى تقديسًا إلا إن كان من الله – أي غير مادي نحو تطهير البيت الحرام، قال تعالى:﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[البقرة:١٢٥]، ولذلك وصُف البيت الحرام بالقادس على لسان العرب[٥]. – ولست مع ما ذكره ابن منظور بأن التَقْديس: بمعنى التطهير والتبريك؛ لأن الله كما وصف ذاته بالقُدْوس بين من صفات فعله المباركة: بمعنى الخير الإلهي [٦]. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾[ق:٩]،

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، (٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، (ط١)، ١٩٩٢، (ص٦٦٠).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٤٠/١٢).

(٣) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (٢٤٧/٤).

(٤) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، أحمد(١٧٠هـ)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ٢٠٠٣، (٣٦٦/٣).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، (٣٩/١٢).

(٦) المفردات، الراغب الأصفهاني، (ص١٢٠).

وما ورد في قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[غافر:٦٤] بمعنى تعالى وعَظُم؛ لتفضله بالخير على عباده[١]، ونحوه في الآيات المماثلة.

- دلالة مسمى القُدْس وفضيلته:

وثبت في كلام العرب ضبط اسمها -كما عند الجوهري من المتقدمين- بقولهم: البيت المُقَدَّسِ وبيت المَقْدِسِ، يشدَّد ويخفَّف، والنسبة إليه مَقْدِسِيٌّ، مثال مجلِسِيٍّ ومُقَدَّسِيّ[٢]. وأضاف السمين قول العرب: بيت القَدْس[٣]. ورجح ابن منظور الضبط الثاني فقال: وأما قَدَس بفتح القاف والدال فموضع بالشام من فتوح شرحبيل بن حسنة[٤]. وهي في الحديث لم ترد إلا بُمسمى (بيت المَقْدس)؛ حيث تتبعت الأحاديث فلم أقف على حديث ورد فيه لفظ مدينة القُدْس، أو بيت القُدْس، بينما ورد لفظ القُدْس بدون إضافة عند المتأخرين من علماء اللغة فذكره الفيروز آبادي، ويظهر من ذلك تداول اسمه كذلك متأخرًا على لسان المسلمين، فقال: وخرج إلى بَيْت المَقْدِس، وإلى القُدْس، وإلى الأَرض المُقَدَّسة، وإلى البيت المُقَدَّس، أَي إلى بيت المكان المُقَدَّس. وقَدَّسَ الرجلُ: أَتى بيت المَقْدِس[٥].

وحيث إنّ الفضائل لا تثبت إلا بدليل من الكتاب والسنة، وعند بعض العلماء إلا بما صح منها؛ لأن الفضيلة اعتقاد ما في ذلك الأمر من الفضل، والأجر والثواب، والعقائد لا تثبت إلا بدليل. ومن اعتقد في أمر فضيلة، فسيطلب أجره وثوابه بالتعبد، والعبادات لا تثبت بالقياس ولا بالرأي، وإنما يُقتصر فيها على النصوص، ولا يقبل فيها

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، بيروت، دار إحياء التراث، (ط٤)، ١٩٩٤، (٦/ ١٢٦). والتحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، طبعة مصرية مصورة لم تذكر الدار، (د. ط)، (د. ت)، (١٨/ ٢٥).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، (ط٤)، ١٩٨٧، (٢٨٧/٢).

(٣) عمدة الحفاظ إلى أشرف الألفاظ، السمين، أحمد بن يوسف، (٧٥٦هـ)، تحقيق محمد عيون باسل السّور، بيروت، الكتب العلمية، (ط١)، ١٩٩٦، (٢٨٢/٣).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، (٣٩/١٢). والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٢٣/٤).

(٥) بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، (٢٤٧/٤).

إلا ما صح، وممن ذهب إلى هذا ابن عبد البر (٤٦٣هـ)؛ لأن ترتيب الثواب على الشيء، سواء كان عقيدة أم عبادة، لا بُد له من دليل، وهذا لا يكون إلا من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فقال رحمه الله: وأهل العلم بجماعتهم يتساهلون في الفضائل، فيرونها عن كل، وإنما يتشددون في الأحكام الشرعية، وأقول إن الأحكام الشرعية ـ يعني والفضائل ـ متساوية الأقدام، لا فرق بينها، فلا يَحل إثبات شيء منها إلا بما تقوم به الحجة، وإلا كان من التَقَوّل على الله بما لم يقل، وفيه من العقوبة ما هو معروف(١).

وبحسب ذلك فإن تسميتها بيت المَقْدِس بأمر الله؛ لأن اسمها يَحمل دلالة شرعية، فالتَقْدِيْس كما بينت تطهير إلهي، وأنت ترى أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم ورد فيه تسميتها بيت المَقْدس، قال صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء: "فركبته –أي البراق– حتى أتيت بيت المَقْدِس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء"(٢)، وما ذلك إلا بوحيه سبحانه. فهو تطهير جعله الله لها بذاتها، وهذا يؤكد منزلتها عند الله وفضلها – الذي يُستوحى من اسمها– وأعْظِم لها به من فضل.

تعددت أقوال العلماء في علاقة تلك التَسْمِية بالمُسَمّى:

– لتطهره من الشرك (٣)، وذكره أبو حيان في عدة أقوال ولم يرجح أحدها(٤).

---

(١) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (١٢٥٠هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت)، (ص٢٨٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، حديث رقم (١٦٢).

(٣) ينظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، (ص١٢٠). ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر، (٨٨٥هـ)، اعتنى به عبد الرزاق المهدي، بيروت، الكتب العلمية، (ط١)، ١٩٩٥، (٤٢٥/٢). رشيد رضا، محمد، (١٢٨٢هـ)، تفسير المنار، بيروت، دار المعرفة، (ط٢)، (د. ت)، (٢٣/٤).

(٤) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق عادل أحمد وآخرون، بيروت، الكتب العلمية، (ط١)، ١٩٩٣، (٤٦٩/٣).

- لتطهير من أَمَّه من الذنوب [١]، وقال ابن قيم: ومنه بيت المَقْدس؛ لأنه مكان يُتطهر فيه من الذنوب، ومن أَمَّه لا يريد إلا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه – قلت: في هذا حديث آتٍ– ومنه سُميت الجنة حظيرة القُدْس لطهارتها من آفات الدنيا[٢].
- قرار الأنبياء ومهبط الرسالات ومسكن المؤمنين.[٣]
- لأن فيه بيت الله المسجد الأقصى [٤]، وهو قول وجيه؛ حيث لمّا كان المسجد الأقصى قلب المدينة فتَقَدّست بمسجدها، لا سيما وهو ثاني مسجد وُضِع في الأرض بعد المسجد الحرام، لحديث أبي ذر رضي الله عنه الآتي، فتَقَدّس عند الله تَقْدِيسًا إلاهيًا. وثبت تَقْدِيس بيت المَقْدس بالوحي بخلاف البيت الحرام وُصف بالقَادِس على لسان العرب لا بالوحي –كما تبين سابقًا–، وعليه ذهب عدد من علماء اللغة والمفسرين إلى أن الأرض المُقَدّسة المذكورة في القرآن هي بيت المَقْدس منهم: الجوهري [٥]، والزمخشري[٦]، وابن كثير[٧]، وأبو السعود [٨]، وعدّ بعضهم الأرض المُقَدّسة والمُبَاركة بالمعنى نفسه[٩].

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٢٤/٤). وعمدة الحفاظ إلى أشرف الألفاظ، السمين، (٢٨٢/٣).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق ونشر دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، ١٩٧٨، (ص١٧٩).

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (٦٠٨/١). وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبدالله بن عمر(٦٨٥هـ)، إعداد محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ط١)، ١٩٩٨، (١٢١/٢). والبحر المحيط، أبو حيان، (٤٦٩/٣) ضمن أقوال ولم يرجح أحدها.

(٤) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (٢٤٧/٤).

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٢٨٧/٢).

(٦) الكشاف، الزمخشري، محمود بن عمر، (٥٣٨هـ)، ضبطه محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٩٩٥، (٦٠٧/١– ٦٠٨).

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (٧٧٤هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ط١)، ٢٠٠٠، (٤١/٢).

(٨) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، (٢٣/٣).

(٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ)، ضبطه محمود شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ط١)، ٢٠٠١، (٢٠٧/٦)، ورجح: أنها مما بين الفرات وعريش مصر.

– لدفن سيدنا إبراهيم عليه السلام فيها، قاله ابن عاشور: والأَرْضُ المُقَدَّسَةُ بِمَعْنى المُطَهَّرَةِ المُبارَكَةِ، أيِ الَّتِي بارَكَ اللَّهُ فِيها، أوْ لِأنَّها قُدِّسَتْ بِدَفْنِ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ في أوَّلِ قَرْيَةٍ مِن قُراها وهي حَبْرُونُ – مدينة الخليل [١]. وهو بعيد؛ فالأنبياء والرسل ممن دفنوا في غير أرض فلسطين كثير، وسيدهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يُقَدّسها الله بدفنهم فيها.

ويستنتج من ذلك:

بعد هذا التجوال مع أصل لفظ القُدْس في اللغة ودلالة مُسَمّاه، يدلنا على فضيلته بأن بيت المَقْدس اكتسب تطهيرًا إلاهيًّا. كما تَحَلَّى جبريل عليه السلام بذلك، وبمثل هذا وُصِفت الجنة والشريعة المفضية إليها لمن تمسك بها، وفوق ذلك نال شرف اسمه من اسم الله القُدُّوس، كما اشتق الله للرحم اسمًا من اسمه تنويهًا بشأنها. ومن أمَّه تطهر ماديًّا من الذنوب، ومعنويًّا؛ لتَقْدِيس الله لبيته، وروحيًا؛ لهيبة الله القُدّوس سبحانه، ومع التَقْدِيس تبارك بالخير الإلهي، كما سيأتي.

المطلب الثاني: قِدَم مدينة القُدْس بقِدَم مسْجِدها الأقصى وفضيلة ذلك

يرى ابن عاشور أن المسجد الأقصى: الأبعد، سُمي كذلك؛ لأنه جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وصار مجموع الوصف والموصوف علمًا بالغلبة على مسجد بيت المَقْدِس، ويحسب أن هذا العلم من مبتكرات القرآن، والعرب أدركوا المراد منه[٢].

الاستنباط القرآني في أسبقية المسجد الأقصى على بعثة إبراهيم عليه السلام، ودلالة فضله:

ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه ما يدل على أقدمية المسجد الأقصى ثاني مسجد في الأرض، حيث قال: «قلتُ يا رسول الله أي مسجد وُضِع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلتُ: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عامًا»[٣].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦/ ١٦٢).

(٢) السابق، (٢١/١٥).

(٣) صحيح البخاري، كِتَاب أَحَادِيْث الأَنْبيَاء، رقم (٣٣٦٦). وصحيح مسلم، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، رقم (٥٢٠).

وفي القرآن ما يدل على أن البيت الحرام وُضع في الأرض قبل بعثة إبراهيم عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧]، فالخبر في قوله: "عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ" جليٌّ بأن البيت الحرام كان قبل أن يُسْكِن إبراهيمُ عليه السلام ولده إسماعيل وزوجه عليهما السلام مكة المكرمة، حيث أسكنهم في ذلك الوادي الذي لا ثمار فيه وهجره الناس؛ ليقيموا الصلاة.

وفي الحديث ما يُؤكد ذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «.. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت... وليس بمكة يومئذ أحدٌ وليس بها ماء... فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثَّنيّة حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ربنا إني أسكنتُ من ذريتي...»[(١)].

وأما الحديث الذي فيه أن سيدنا سُليمان عليه السلام بنى بيت المَقْدس، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لما فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس، سأل الله خلالًا ثلاثًا... وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[(٢)]، فإنما هو تجديد للبناء كما جدد إبراهيم عليه السلام الكعبة ورفع قواعدها، وهذا ما رجحه ابن حجر ونقل عن ابن الجوزي قوله: "وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة، ولا سُليمان أول من بنى بيت المَقْدس"، ثم قال: "وقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر

(١) صحيح البخاري، كِتَاب أَحَادِيْث الأَنْبيَاء، رقم (٣٣٦٤).

(٢) سنن النسائي، كِتَاب المَسَاجِد، فَضْلُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَالصَّلَاةِ فِيهِ، رقم (٦٩٣). وسنن ابن ماجه، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، رقم (١٤٠٨). وصححه الألباني في صحيح الترغيب، كتاب الحج، باب الترغيب في الصلاة في المسجد الحرام ومسجد المدينة، وبيت المقدس وقباء، رقم (١١٧٨).

ولده في الأرض"، وذهب إلى مثل هذا الحافظ الضياء والخطّابي[١]. وعليه فالمسجد الأقصى وُضع في الأرض قبل بعثة سيدنا إبراهيم عليه السلام، بدلالة وجود المسجد الحرام قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام، بحسب الدراسة الموضوعية للأدلة التي بينت من الآيات والأحاديث.

ويستنتج من ذلك:

بما تبين من وجوه الاستدلال آنفة الذكر: فضيلة المسجد الأقصى قلب القُدْس ومُطّهرها بالتطهير الإلهي كما المسجد الحرام مَهوى مكة، فهما أول بيتين وضعا في الأرض لعبادة الله، مما يؤكد شأنهما عند الله منذ قِدم الزمان وإلى آخره بإذن الرحمن، وأسبقيتهما بعبادة الله فيهما دون غيرهما من مواضع الأرض. وهذا ينفي مزاعم يهود في هيكل سليمان، بل هو مسجد بيت المقدس، ورّثه الله لسيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته؛ لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ * إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٥-١٠٧]، فالأرض في الآية معرفة معهودة في ذهن المخاطبين، إنها أرض بيت المَقْدِس، والأرض التي بارك الله فيها للعالمين، يرثها الصالحون أتباع النبي المرسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين. وذكر ذلك التوريث في كتاب سيدنا داوود عليه السلام النبي المَلِك؛ ليدل على تمليك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته الحق فيها.

(١) فتح الباري، ابن حجر، أحمد بن علي، بيروت، المكتبة العصرية، (د. ط)، ٢٠٠٢، (٣٩٤٤/٧-٣٩٤٥).

المبحث الثاني

فضائل القُدْس والمسجد الأقصى في القرآن الكريم عبر الزمان

في دراسة فضائل أمر ما أساليب بديعة، تتحقق بمنهجية استنباطية بعد الاستقراء، ومن تِلْكم الأساليب: إلحاق المثيل بالمثيل ومناظرة القرين بالقرين، فيظهر بذلك ما انفرد به المثيل عن مثيله، وما تميز به القرين عن قرينه، وما تساويا به.

لذلك سأعرض الفضائل بالمقابلة والمقارنة:

حيث نجد اليقين الجازم المقطوع به في قلوب المؤمنين، بما لمكة والمسجد الحرام من عظيم الفضائل، فإذا تبين لك أن لبيت المَقْدِس والمسجد الأقصى من الفضائل ما يُناظر ما لمكة والمسجد الحرام، مع ما يَنفرد به متميزًا أحدهما عن الآخر، أصبح اليقين الجازم المقطوع به للأول مثله يقينًا مقطوعًا معلومًا للثاني لا يُساورك فيه شك.

ولقد جمع الله بينهما، بكلامه الأزلي مسطورًا، وجمع بينهما واقعًا في حياته صلى الله عليه وسلم؛ لِيكون لأمته موروثًا. وإن المتدبر لكتاب الله يجد أن الله قابل بين مكة وبيت المَقْدِس، وبين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في سُور من القرآن الكريم، في الإسراء والطور والتين، مع ذكر فضائل منفردة في سور أخرى. وإليك هذه الفضائل في أربعة مطالب:

المطلب الأول: فضيلة البركة: بركة محددة وبركة متسعة

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦]، فالبركة في المسجد الحرام ذاتية معنوية روحانية تحقق الهداية للعالمين، لمن أتاه معظمًا له حاجًّا أو مُعتمرًا، وبركة مادية. وأعلاها ما كان بمضاعفة الثواب وتكفير الذنوب[١]. وسُميت (بَكَّةَ)؛ لأنها تَمُك ذنوب العباد عن آخرها.[٢]

---

(١) روح المعاني، الآلوسي، السيد محمود، اعتنى به علي عبد الباري، بيروت، الكتب العلمية، (ط١)، ١٩٩٤، (٢/٢٢٢).

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ط١)، ٢٠٠١، (ص٧١٢).

وأما المسجد الأقصى فتميز عن البيت الحرام بأن بركته ليست بذاته فحسب، بل تتسع لِما حوله، يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[الإسراء:١]، فهي بركة وسعت بيت المَقْدِس إلى القرى مِن حوله؛ ويؤكد هذا قوله تعالى في حق أهل سَبَأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[سبأ:١٨]، ولعظيم بركته عمّت العالمين، كما عمّ الهدى من بيت الله الحرام العالمين، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١].

وإن بركة بيت المقدس متعددة الوجوه:

– بركة بمضاعفة الثواب، وبتكفير الذنوب؛ لحديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما فرغ سليمان بن داود عليه السلام من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثًا... وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد لا يُريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[(١)]، فإن كان الحج المبرور إلى بيت الله الحرام يرجع صاحبه منه كيوم ولدته أمه، فإن صلاة في المسجد الأقصى يخرج بها صاحبها كيوم ولدته أمه.

– ومن بركته بركة بالزروع والثمار[(٢)]، ووصف القرآن الكريم أرضها بالرَّبوة ذات الخصوبة، وهي أحسن ما يكون فيه النبات، وماءها بالمعين الجاري، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون:٥٠]، قال الضحاك وقتادة: وهو بيت المَقْدِس، قال ابن كثير: وهو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضًا[(٣)]، وبدلالة القسم في مطلع سورة التين، كما سيأتي بيانه.

---

(١) سبق تخريجه، وبيان صحته.

(٢) قال العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ): "اختلف العلماء في هذه البركة، فقيل بالرسل والأنبياء، وقيل: بالثمار والمياه، ينظر: ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام، عبد العزيز بن عبد السلام، عمان، مكتبة المنار، (د. ط)، (د. ت)، (ص٢٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/٢٣١).

وأما مكة على قدرها وشرفها تُجْبَى إليها الثمرات، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧]؛ استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦]، وأما بيت المَقْدس فلعظيم بركته تُجْبَى منه الثمرات، بحسب ما تفيده سورة التين.

ولأن وصف البركة لهذه الأرض لا ينفك عنها صار كالعَلَم، فإذا ما ذُكرت الأرض المباركة في القرآن أراد بيت المَقْدِس -كما سبق بيانه عن عدد من المفسرين- أو بيت المَقْدِس وما حوله من بلاد الشام بحسب ترجيح الطبري.(١)

ومما يؤكد قدر هذه الفضيلة أن فعل (بَارَكْنَا) في الآيات جاء مسندًا إلى الله تعالى، وفعلًا ماضيًا الذي يدل على التحقق، ومطلقًا غير مقيد بشكل أو نوع أو زمن، وأنها بركة فيها بذاتها: ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١]، وتتسع لِما حوله ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]. وترى بأن بيت المَقْدِس والأقصى بركة للعالمين فتميز منفردًا بذلك، كما انفرد المسجد الحرام ومكة هدى للعالمين.

المطلب الثاني: فضيلة القَسَم تعظيمًا

القَسَم ببيتي الله:

أقسم الله تعالى بالطُّوْر وبالبيت المَعْمور، في قوله: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ [الطور:١-٤]، ويرى العلماء أن للقسم أغراضًا، فيُقسم الله تعظيمًا لِما أقسم به، أو تذكيرًا بشأنه لغفلة الناس عنه...(٢).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٠٧/٦).

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم، عبده، محمد، طبعة الجمعية الخيرية الإسلامية، (ط٣)، ١٣٤١هـ، (ص١٠٩).

والطُّوْر: توافق المفسرون على أنه الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام [١]، ويؤكد هذا الآيات، بأن التكليم كان بالواد المُقدّس بجانب الطُّوْر من الواد الأيمن من الشجرة المُبَاركة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:١٢]، وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص:٤٦]، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص:٣٠]، فأتى موسى عليه السلام الوادي المُقدّس فكلمه الله. وتفيد الآيات أنه عليه السلام لم يكن فيه من قبلُ، بل مرّ فيه وأهله بطريق عودته من مَدْين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[القصص:٢٩]، ثم أتاه عليه السلام مرة ثانية وسبعون من قومه للميقات قال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ﴾[الأعراف:١٥٥]، ورفع فوقهم الطُّور قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٦٣]، فنتق الله الجبل –الطُّور– فوقهم، قال تعالى:﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾[الأعراف:١٧١].

وأما عن مكان الطُّور فذهب غير واحد من المفسرين أنه في مصر، فيرى الآلوسي أنه قُرب أرض التيه، فقال: ﴿والطُّور﴾ اسم لكل جبل على ما قيل: في اللغة العربية عند

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٣٧٤/١)، آية (٦٣) من سورة البقرة. والتفسير الكبير، الرازي، (٥٣٨/١)، آية (٦٣) من سورة البقرة. والبحر المحيط، أبو حيان، (٤٨٥/٨)، آية (٢) من سورة التين. وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥٨٥/٥)، آية (٢) من سورة التين، عن كعب الأحبار. وروح المعاني، الآلوسي، (٢٧/١٤)، آية (١) من سورة الطور. والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥٤١/١)، آية (٦٣) من سورة البقرة. وتفسير القرآن المجيد، عباس، فضل حسن (١٤٣٢هـ)، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، (ط١)، ٢٠١٧، (٢٦٢٦/٥)، آية (٢) من سورة التين.

الجمهور، ... ويقال له: طُور سَيناء أيضًا، والمعروف اليوم بذلك ما هو بقرب التيه بين مصر والعقبة[١]. وصرح ابن عاشور أنه في صحراء سَيناء، فقال: والطُّور: الجبل بلغة النبط وهم الكنعانيون، وعُرف هذا الجبل بـ (طُورِ سِينِينَ) لوقوعه في صحراء (سِينِينَ)، و(سِينِينَ) لغة في سِينٍ وهي صحراء بين مصر وبلاد فلسطين. وقيل: سِينِينَ اسم الأشجار بالنبطية أو بالحبشية، وقيل: معناه الحسن بلغة الحبشة[٢]. بينما نقل الرازي عن ابن عباس رضي الله عنهما غير ذلك، فقال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر تعالى جبلًا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام فوقهم كالظلة[٣]. وقال أبو حيان: لم يُختلف في طُور سيناء أنه جبل بالشام، وهو الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، ومعنى (سِينِينَ) ذو الشجر[٤]. ونص الخليل الفراهيدي ومحمد بن أبي بكر الرازي وابن كثير على أن الطُّور جبل من أكناف بيت المقدس[٥]، بل قال الفيروز أبادي: هو جبل مخصوص بالقُدْس[٦]. ويفرق أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:١٥٤]. بين الطُّور الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام – وهو بالشام في رأيه كما نقلت عنه – وبين الجبل الذي رفعه الله فوق بني إسرائيل، فقال: وليس هو المرفوع على بني إسرائيل؛ لأن رفع الجبل كان فيما يلي التيه من جهة ديار مصر، وهم ناهضون مع موسى عليه السلام[٧].

---

(١) روح المعاني، الآلوسي، (٢٧/١٤)، آية (١) من سورة الطور.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤٢١/٣٠).

(٣) التفسير الكبير، الرازي، (٥٣٨/١)، آية (٦٣) من سورة البقرة. وقاله أبو حيان، ينظر: البحر المحيط، (٤٠٦/١).

(٤) البحر المحيط، أبو حيان، (٤٨٥/٨) آية (٢) من سورة التين، وأكّد أنه بالشام في أية (١٥٤) من سورة النساء، وآية (٥٢) من سورة مريم، وقال: وهو المشهور، وحدده أنه بفلسطين من بلاد الشام في تفسير آية (٦٣) من سورة البقرة.

(٥) كتاب العين، الخليل الفراهيدي(١٧٠هـ)، (٦٤/٣). ومختار الصحاح، الرازي (٦٦٦هـ)، (١٩٣/١). وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٧٧٤هـ)، (٢٥١/٣).

(٦) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (٥١٨/٣).

(٧) البحر المحيط، أبو حيان، (٤٠٢/٣-٤٠٣).

ولكن المتدبر للآيات قوله تعالى:﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ [الطور:١-٤]، يرى أن الله ممّا أقسم به في صدر السورة موضعين، قابل بينهما تعظيمًا وتنويهًا بشأنهما: الطُّوْر والبيت المَعْمور (الكعبة)(١)؛ لأنهما متقابلان من حيث الفضيلة والمكانة، ومن حيث الحقيقة. وأعني بالتقابل من حيث الحقيقة بأن كلًّا منهما مكان عبادة، فالبيت المعمور بناء أقيم لعبادة الله، والطُّور فناءٌ ممتدٌّ حول بناء على جبل أقيم لعبادة الله. وما عليه من بناء ممتد مع فناء –وهو واقع المسجد الأقصى– حيث الفناء ممتد بين الأسوار، والذي فيه المَشَارِب ومَصَاطِب العلم... وهذا مما يُفهم من لغة العرب، فيما نقل من استعمالهم قولهم: طِوار الدّار ما يَمْتَد معها من فنائها(٢). وعلى ذلك فالطُّور فناء حول بناء أقيم لعبادة الله على جبل بيت المَقْدِس، فقابل الله بينه وبين البيت المَعْمور بالقسم بهما تعظيمًا.

ومما يُؤكد ما ذكرنا ما أخبرنا الله به، أنه عندما أخذ الميثاق على من اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربهم، نتق الجبل فوقهم في قوله: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾ [الأعراف:١٧١]، وفي موضع آخر أخبرنا عن رفع الطُّور في قوله: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ [النساء:١٥٤]، ولم يقل رفعنا الجبل فوقهم –فلكل لفظ في القرآن

(١) ذهب بعض المفسرين إلى أن البيت المعمور في السماء الدنيا، لرواية الطبري، – ينظر: جامع البيان، (١٧٤/٣) – عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:(شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ) ولكنها ضعيفة، وصحح الحاكم برقم (٢٨٨١) –ووافقه الذهبي– أن البيت الذي في السماء الدنيا هو بيت العزة، وأخرجها النسائي برقم (٧٩٣٧) وغيره عنه، بينما في حديث البخاري رقم (٣٠٣٥) أن البيت المعمور في السماء السابعة، قلت: ولما كان القسم في القرآن يأتي على نسق واحد كالشمس والقمر أو على التقابل كالليل والنهار... وعليه فالراجح عندي أن البيت المعمور الكعبة المشرفة فتقابل الطُّور، وهو المسجد الأقصى –كما سيتبين–؛ ويتحقق النسق المعهود في القرآن القائم على التقابل.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٧٢٦/٢). مجمل اللغة، ابن فارس، أحمد، (٣٩٥هـ)، تحقيق زهير عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، (ط١)، ١٩٨٤، (٥٨٩/٢). مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، (ص٥٢٨). أساس البلاغة، الزمخشري، (ص٤٧٤).

دلالة- حيث أراد الله تعالى أن يُفيدنا معنى آخر، ويبين حقيقة أخرى، فهو ليس بجبل فحسب، بل إنه طُور -بناءٌ ممتد بفنائه- على جبل بيت المَقْدِس. وردّ مرتضى الزبيدي ما زعمته طائفة من اليهود بأن الطُّوْر جبل شاهق عند كُورة بمِصْر، وأنه جبل التَجَلي [1]، وردّ ابن منظور أن يكون الطُّور في سَيْناء؛ لقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةَ تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأٰكِلِينَ﴾[المؤمنون:٢٠]، فالجبل -أي المزعوم فيها- حجارة [2]، وسبق ابن منظور في هذا الطبري برواية أسندها لابن عباس رضي الله عنهما قال: الطُّور من الجبال ما أنبت، وما لم ينبت فليس بطُور [3]. وعنه نقلها ابن كثير [4]. فالآية تؤكد أن الطُّور بيت المَقْدس -أي المسجد الأقصى وما حوله من الفناء- بما فيه من شجر الزيتون. وإضافة الطُّور إلى سَيْناء عند الطبري للتعريف، فقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: طُور سِيْنِين: جبل معروف، لأن الطُّور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سِيْنِين تعريف له، ولو كان نعتًا للطُّور، كما قال من قال معناه حسن أو مبارك [5]. قلت: كما في الحديث بتعريف عَمّان بالبَلْقَاء، فعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال صلى الله عليه وسلم:« حَوضي من عدنٍ إلى عَمانَ البلقاءِ».[6] وقد يكون من أسلوب القرآن تبكيتًا وتعنيفًا لهم، حيث الطُّور يُذكرهم بفضل الله عليهم ببعثة موسى عليه السلام ومناجاته من جانب الطُّور الأيمن، وحضور من اختير منهم للميثاق وتَجَلِّي معجزة رفعه فوقهم، ثم تَولِّيهم عن طاعة

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي(١٢٠٥هـ)، تحقيق عليّ شيري، بيروت، دار الفكر، (د. ط)، ٢٠٠٥، (١٤٨/٧).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (١٥٧/٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٣٧٤/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١٢٠/١).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٩٠/٣٠).

(٦) سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ، رقم(٢٤٤٤). وصحيح الجامع، الألباني، رقم(٣١٦٢) وصححه.

أمر الله بأخذ ما آتاهم بقوة[١]، وامتناعهم دخول الأرض المُقدّسة، وتَعَدّيهم على أمره في يوم السبت، فضُرب التيه عليهم[٢].

القَسَم ببيت المقدس وبمكة:

في قوله سبحانه: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين:١-٣] أقسم الله بالبيت المُقَدَّس ثم بالطُّور ثم بمكة، فذهب بعض المفسرين: إلى أن التين والزيتون هما جبلان في الأرض المباركة، بينما رأى آخرون: أن الزيتون إشارة إلى بيت المَقْدِس، وقيل: التين جبل في دمشق[٣]، والأرجح بدلالة المقابلة أن التين والزيتون بيت المَقْدِس، حيث قابل الله بينه وبين مكة البلد الأمين، كما قابل في السورة الأخرى بين الطُّوْر والبيت المعمور اللّذين أقيما لعبادة الله.

وتراه أقسم بالعام (الأرض المُبَاركة المُقَدَّسة)[٤]، ثم أقسم بالخاص في قوله: (وَطُورِ سِينِينَ) ليؤكد ما ذهبنا إليه بأنه البناء المُقَام على جبل بيت المَقْدِس، وذِكر الخاص بعد العام لمزيد التنويه بعظمته.

وأقسم الله بالطُّور (المسجد وفنائه) مقدمًا على البيت المَعْمور (الكعبة) – بحسب ما رجحنا – وأقسم بالتين والزيتون (بيت المَقْدِس) مقدمًا على البلد الأمين (مكة)؛ وذلك

---

(١) لقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الاعراف:١٧١].

(٢) لقوله تعالى:﴿ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [النساء:١٥٤].

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٣٠/٢٨٩-٢٩١). إرشاد العقل السليم، وأبو السعود، (١٧٤/٩) وغيرهما.

(٤) ورد ذكر الأرض المُبَاركة – ومنطلق بركتها المسجد الأقصى-: في سورة الأعراف آية (١٣٧)، وفي سورة الإسراء آية (١)، وفي سورة الأنبياء آية (٧١)، وفي الآية (٨١)، وتفيد أن سليمان عليه السلام لم يكن في الأرض المُبَاركة فالريح تجري إليها، ولم يقل سبحانه منها، وفي الآية (١٠٥)، وتحدثنا عن دلالتها في الدراسة، وفي سورة القصص آية (٣٠)، وفي سورة سَبأ آية (١٨).

لأن المخاطبين بالقرآن آنذاك ممن آمن وممن كفر يُدركون ما للبيت الحرام من مكانة وفضل، فأراد الله أن يُحقق في قلوب المخاطبين تعظيمًا لبيت المَقْدِس فقدم ذكره، وأما تقديم ذكر المسجد الحرام على المسجد الأقصى في سورة الإسراء فجاء بحسب الواقع في حادثة الإسراء ثم المعراج.

ولما كان القسم للتعظيم، فهذا يدل على شأن المسجدين الحرام والأقصى، وعلى مكة وبيت المَقْدِس، في فضيلتهما ودفعًا للغفلة عن ذلك.

المطلب الثالث: فضيلة البلد الآمن الحرام والبلد المُقَدَّس المُبَارك

انفردت مكة بالأمان استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ *ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾[قريش:٣-٤]. وحرّمَها الله حيث قال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ [النمل:٩١].

وخص الله البلد الذي فيه المسجد الأقصى بالتَقْدِيس دون غيره من الأرض مع شرف مكة، وهذا التَقْدِيس ليس هو التطهير -كما تبين-، فالله أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت الحرام تطهيرًا ماديًا في قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]، ولم يقل سبحانه: (قَدِّسَا)؛ فلكل دلالة، وإنما التَقْدِيس: هو أمر إلهي[1] -كما تبين سابقًا- يخص الله به من يشاء كجبريل عليه السلام، أو ما يشاء كالأرض التي فيها المسجد الأقصى.

والتَقْدِيس لذلك المكان لخصوصية فيه لا في غيره؛ ولأن نزول روح القدس من السماء بالوحي المتضمن تَقْدِيس الله وتنزيهه بالرسالات من فوق تلك الأرض، ومعراجه إلى السماء منها. ألا ترى أن الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المَقْدِس ومعراجه منه إلى السماء ثم العود إليه ثم إلى مكة، ويؤكد ذلك أن الله كلّم موسى عليه السلام واصطفاه للرسالة، عندما ناداه من جانب الطُّور الأيمن وهو بالواد المُقَدَّس طُوى

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، (ص٦٦٠).

من أكناف بيت المَقْدِس، ونزلت عليه الألواح، وكان عنده الميقات لموسى عليه السلام، وهو المُبَارك –كما بينت سابقًا– بركة متعدية فتميز بها عن بركة المسجد الحرام غير المتعدية لغيره.

فهذه فضيلة الأمن والتحريم انفرد بها البيت الحرام –قلبه الكعبة المشرفة– ومكة المكرمة، بينما انفرد المسجد الأقصى المُبَارك ومدينته بالقُدْسِية الإلهية. وهذا الأمن وذلك التَقْدِيس سنة ربانية تشريعية[١] لا كونية، تتحقق بأمر الله إذا قام العباد بما عليهم من حق لربهم بحكم الفرضية.

المطلب الرابع: فضيلة التعبد بالقبلة

لقد رفع الله قدر المسجد الأقصى بأن كان قبلة المسلمين الأولى، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، بل جمع النبي صلى الله عليه وسلم باستقبالهما في صلاته، يقول ابن كثير: "وقد جاء في الباب أحاديث كثيرة، وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمِر باستقبال الصَخْرة[٢] من بيت المَقْدِس، فكان بمكة يُصلي بين الركنين، فتكون بين يديه الكعبة، وهو مستقبل صخرة بيت المَقْدِس، فلمّا هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المَقْدِس..." [٣]، ثم نزلت آيات سورة البقرة بالتوجه إلى البيت الحرام، وهذا مما يُجلي لنا مكانة المسجد الأقصى.

بينما كانت معجزة الإسراء به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومعراجه منه إلى السماوات العلى –﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي(١٣٢٩هـ)، طبعة أخبار اليوم، (د. ط)، (د. ت)، (٣٠٥٠/٥).

(٢) عن قتادة في تفسير قوله تعالى:﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[ق:٤١]." كنا نُحدَّث أنه ينادي من بيت المَقْدِس من الصخرة، وهي أوسط الأرض"، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢١٢/٢٦)، وهذا من مكانته يوم الدين.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٠٢/١).

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الإسراء: ١]ـ تسلية له ورفعة، فضلًا عن تأكيد صدقه في نبوته، ومع ذلك هي فضيلة للمسجدين، خصوصًا أنهما أول مسجدين وُضعا في الأرض، وهذا مما يؤكد أن المسجد الأقصى بوابة السماء، حيث كان منه المعراج إلى السماوات وإليه العود.

المبحث الثالث

فضائل القدس آخر الزمان رؤية قرآنية

ما ذكرت من فضائل لا تنفك عن المسجد الأقصى وعن القُدْس عبر الزمان، لكن ثمة فضائل ترتبط به في آخر الزمان، إليك هي:

المطلب الأول: مهاجر أنبياء سابقين وخير مهاجر الأمّة في الآخرين

هاجر سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض المُقَدَّسة المُبَاركة، قال سبحانه:﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:٧١].

ورغّب النبي صلى الله عليه وسلم أمّته بخير المهاجر مهاجر إبراهيم عليه السلام، تنويهًا بشأن الأرض المُقَدَّسة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: «سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم».(١)

فهذه فضيلة قرآنية ورؤية نبوية مستقبلية للأمة، فالدعوة بالهجرة إلى بيت المَقْدِس وأكنافه من الأرض المُبَاركة للتأكيد على شدِّ الرحال إليه في آخر الزمان؛ لِيكون الاجتماع فيَتحقق الانتصار على كل اعتداء، وللقضاء على إفسادي بني إسرائيل التي حدثتنا عنهما سورة الإسراء.

وتِلْكُم الفضيلة القرآنية الخالدة والرؤية النبوية هي إحدى طرق معالجة التحديات التي تُواجه الأمة، وإن كانت الدعوة بالهجرة إليها ترغيب نبوي، فالحال أولى بوجوب ثبات أهلها والعمل على تثبيتهم من الآخرين.

المطلب الثاني: مكة مهد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والقُدْس مهد بعثة عباد الله للقضاء على فساد بني إسرائيل

جعل الله مكة مهد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين عليهم الصلاة والسلام، ومُنطلق الإسلام إلى الناس كافة ورحمة للعالمين إلى يوم الدين. كيف

(١) سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد، باب في سُكنى الشام، رقم (٢٤٨٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة ونقله من الضعيفة، رقم (٣٢٠٣).

لا! وهي مُنطلق عبادة الله، فما كان البيت الحرام إلا أول بيت وُضع في الأرض. ثم كان المسجد النبوي بناء دولة ونشر دعوة، ثم لِيكون المسجد الأقصى آخر الزمان عودة بالمسلمين إلى العزة والدولة.

ويشاء الله أن تكون القُدْس بعثة عباده للقضاء على الفساد في آخر الزمان، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٤ – ٥]، وضابط فهم الآيات في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، أن الإفسادين في المرتين في الأرض نفسها المعهودة في ذهن المخاطبين الأرض المُبَاركة المُسْرَى بالرسول صلى الله عليه وسلم إليها. والمقصود ببني إسرائيل النسل وليس من تدين باليهودية، وقد يشمل النصارى من نسل بني إسرائيل لا من تنصر، ففي بني إسرائيل بُعث آخر رسلهم عيسى عليه السلام(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يدل على أن الذين أنهَوا على فساد بني إسرائيل في المرة الأولى ودخلوا المسجد الأقصى امتدادهم من حيث الصفة والنسل يَقضون على فسادهم في الآخرة ويدخلون المسجد الأقصى محررين؛ لوحدة الضمير في الآيات، فشأن في القرآن أن يُخاطب المتأخرين بما صنع أسلافهم، كما في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ...﴾ [البقرة:٦١] – والآيات بينت صفتهم بالعبودية الخالصة

(١) لقوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الصف:٦].

لله بالإيمان والبأس الشديد – القوة والمنعة وهي صفة الحديد ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[الحديد:٢٥] –والأحاديث فضلًا عن تَجْلِيَة صفتهم حدّدت مكانهم: ومنها حديث معاوية رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُول: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ". قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ: قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ» (١)، والحديث يُفيد أن الطائفة لا تزال قائمة على الحق عبر الزمان إلى قيام الساعة؛ لحديث عمران بن الحصين رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَزالُ طائفةٌ من أمَّتي يقاتِلونَ على الحقِّ ظاهِرينَ علَى من ناوَأَهُم، حتَّى يُقاتلَ آخرُهُمُ المسيحَ الدَّجَّالَ» (٢)، والأحاديث التي تُؤكد مكانهم في بلاد الشام عديدة، بل منها ما يثبت كونها في أكناف بيت المَقْدِس، منها حديث مجمع الأنصاري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ: النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «يقتُلُ ابنُ مريمَ المسِيْحَ الدَّجَّالَ بِبابِ لُدٍّ» (٣)، فأكّد الحديث أن عيسى عليه السلام يلتحق في الطائفة ويقاتل معهم، ويقتل المسيح الدجال بباب لُدٍ شمال غرب القُدْس.

فالفضيلة بحسب ذلك كما ابتعث الله النبي صلى الله عليه وسلم في أول زمان الأمة يبتعث عباده المخلصين في آخر الزمان لتطهير الأرض المُقَدَّسة المُبَاركة من المفسدين. ولفظ (بَعَث) يستعمل في الإحياء والإرسال (٤)، فلما أرسل الله الرسول صلى الله عليه وسلم دَبت الحياة في الأمة. وكذلك ما يُصيبها من ضعف وما يتركه فساد الآخرة من

(١) صحيح البخاري، كِتَاب التَوْحِيد، بَاب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ}، رقم (٧٠٢٢).

(٢) سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد، باب في دوام الجهاد، رقم (٢٤٨٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٧٢٩٤).

(٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَتْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ، رقم (٢٢٤٤)، وصححه، وصححه أحمد شاكر.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، (ص٣٧).

بني إسرائيل من أثر في آخر الزمان – فهما إفسادان الأول والآخر؛ لأنه لا ثالث[1]–، أشبه ما يكون بموت تنبعث فيه الأمة من جديد، مُنطلقة من القُدْس كما انطلق نبيها صلى الله عليه وسلم من مكة فثمة المدينة. ثم ليتصدر الإسلام كل مكان بحسب وعد الله المنتظر، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٨ ـ ٩]، نعم إنه وعد الله المنتظر؛ لأن الإسلام بلغ بلادًا، ولكنه لم يظهر على كل البلاد من ربوع الأرض.

وبهذا تلتقي فضيلة الهجرة والثبات في بيت المَقْدِس في آخر الزمان، مع فضيلة الانبعاث لعباد الله تهيئة إرسال منه سبحانه؛ للقضاء على إفساد الآخرة لبني إسرائيل فتحيا الأمة من بعد موتها لإطباق الفساد عليها؛ تحقيقًا لوعد الله الحق.

وكما مكة شرفها الله مهد البعثة والرسالة، فإن القُدْس حماها الله مهد الخلافة في آخر الزمان؛ للحديث عن أبي حوالة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع يده على هامته وقال: «يا ابنَ حوالةَ، إذا رأيتَ الخلافةَ قد نزَلَت الأرضَ المقدَّسة فقَد دنَتِ الزَّلازِلُ والبَلابلُ والأمُورُ العِظامُ، والسَّاعةُ يومَئذٍ أقرَبُ منَ النَّاسِ من يدي هذِهِ من رأسِكَ» [2]، وتكون هذه الخلافة على منهاج النبوة الأولى؛ للحديث المبين مراحل تاريخ الأمة، عن حذيفة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ

(١) لقوله تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، ولم يقل الثانية، كما سمّى ما بعد الدنيا بالآخرة فلا حياة بعدها.

(٢) سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد، باب في الرجلِ يغزو يلتمسُ الأجرَ والغنيمةَ، رقم (٢٥٣٥). وصححه الألباني في الصحيح الجامع، رقم (٧٨٣٨).

النُبُوَّة» [١]، ففضيلة القُدْس أنها في آخر الزمان مَؤول الإيمان وميدان ظهور الحق وبقائه، كما كانت مكة في أول زمان الأمة.

وتأتي هه الدراسة تحقيقًا من باحث في التفسير امتثل ما عُهد في غير واحد من المفسرين (المفسر ابن عصره)، فكانت الأفكار الأولى في هذه الدراسة قد كتبتها في أوان مضي خمسين سنة عِجافًا على اغتصاب القُدْس والمسجد الأقصى، ثم استكملتها في أيامٍ أشرق فيها الأمل بثبات المرابطين وتَحَدِّيهم، ففتحوا باب الرحمة في المسجد الأقصى، فانبعث الأمل من بين شدائد الألم.

فتح الله على القُدْس باب التحرير والنصر، وردّ عنها وعن بلاد المسلمين مكر الماكرين، اللهم واحفظ القُدْس وديارنا وسائر ديار المسلمين. واجز اللهم مشايخنا خير الجزاء.

(١) مسند أحمد، حَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رقم (١٨٤٠٦). وحسنه الألباني عنه، برقم (٥٣٠٦) في هداة الرواة.

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المصطفى رحمة للعالمين، بعد العيش في ظلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتصفح كتب العلماء، تمت بفضل الله هذه الدراسة.

وإن دراسة الفضائل تُذْكَر لاستنهاض الهمم، وحثّها على العمل، واستراحًا للجنة وما فيها من النِّعم، ومعرفة فضائل القُدْس تُجدد في الأمة الأمل ويدفع عنها ما تجده من الألم.

نتائج الدراسة:

- إن دراسة فضائل أمر ما يُحقق تصورًا لقيمته، ثم اعتقادًا، ثم تعبدًا لله به؛ لذلك لا يقبل في مصدر الفضائل إلا الكتاب وما صح من السنة.
- معرفة فضائل القُدْس محور الثبات لأهلها، وتكشف عن ثواب ذلك، وثواب من يعمل على حفظ هُويتها، ومواجهة التحديات التي تُصارعها وأهلها. ونعلم لِما كانت محط أنظار العَالِمِين والفاتِحين.
- إن القُدْس حظيت بتقديس إلهي، وبذلك تُطهر ذنوب من أَمَّها، ومكانتها تستمد من المسجد الأقصى ثاني مسجد وُضع في الأرض، كما نالت شرف مهبط الرسالات وبعثة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومَسْرَى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ومعراجه.
- بينت الدراسة قِدم بناء المسجد الأقصى قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي يَعني فضله بأسبقية عبادة الله فيه بعد المسجد الحرام.

لما كان فضل الشيء يُعلم بإلحاق المثيل بمثيله، ومناظرة القرين بقرينه، قارنت بين القُدْس ومكة، وبين المسجد الأقصى والمسجد الحرام، فتبين الآتي: أن المسجد الأقصى مبارك فيه ومبارك ما حوله حتى غدا بركة للعالمين، والمسجد الحرام هدى للعالمين. وأقسم الله بالقُدْس ومسجده ومكة ومسجدها تعظيمًا لشأنها. وسنته الربانية التشريعية في

أن مكة البلد الآمن والحرام وذلك البلد المُقَدَّس المُبَارك. والتعبد بالقبلة. وأن المسجدين معجزة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج. فمنها ما انفرد به أحدهما ومنها ما هو متقابل أو مشترك في فضائل للقُدْس عبر الزمان. بينما فضائلها في آخر الزمان خير مهاجر الأمة في الآخرين. وأنها مهد بعثة عباد الله للقضاء على إفسادي بني إسرائيل كما كانت مكة مهد النبوة والرسالة، وهي محط الخلافة للأمة في المرحلة التاريخية الأخيرة الخامسة، بحسب الحديث.

التوصيات:

- أن تعمل المؤسسات الشرعية على استنهاض همم المستهدفين، بتعليم الفضائل، وتوعيتهم بأنها عبادة لله.
- على المؤسسات التربوية والتعليمية أن تَعي فضائل القُدْس والمسجد الأقصى، ووضع خطط لتثقيف المستهدفين لديهم المُناطِين بهم، بكل الوسائل من ندوات ومؤتمرات وغيرها.
- أن تُصنف الكتب في ذلك؛ لِتكون مصدرًا تعليميًّا أكاديميًّا.
- على المؤسسات الإعلامية أن تعمل على نشر تِلْكُم الفضائل.. فضائل القُدْس والمسجد الأقصى؛ لِتثقيف الجماهير بذلك؛ لِيَلْتَفوا على معصم واحد بتثبيت أهلها.
- أن تُوجه هذه الدراسة ومثلها المتعلقة بالقُدْس والأقصى بمعرفة المسؤولين في تثبيت أهلنا في فلسطين والقُدْس، ودفع التحديات عنهم.
- أن تُكتب دراسة متخصصة في أحكام القُدْس والمسجد الأقصى الفقهية.
- أن تقدم دراسة عن واقع الإجرام في تَدنيس المسجد الأقصى والقُدْس، والإمْعَان في قتل أهلها وفلسطين.

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. السنة النبوية.

٣. أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، (٢٠٠١).

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث: بيروت، (ط٤)، (١٩٩٤).

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبدالله بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، (١٩٩٨).

٦. البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٩٩٣).

٧. بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ط)، (١٩٩٦).

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (٢٠٠٥).

٩. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، لم تذكر الدار، طبعة مصرية، (د. ط)، (د. ت).

١٠. ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام، العز بن عبد السلام، مكتبة المنار، عمان، (د. ط)، (د. ت).

١١. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، مصر، (د. ط)، (د. ت).

١٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، (٢٠٠٠).

١٣. تفسير القرآن الكريم جزء عم، محمد عبده، الجمعية الخيرية الإسلامية، مصر، (ط٣)، (١٣٤١هـ).

١٤. تفسير القرآن المجيد، فضل حسن عباس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، (ط١)، (٢٠١٧).

١٥. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (ط٢)، (د. ت).

١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، عناية محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، (٢٠٠١).

١٧. روح المعاني، الآلوسي، السيد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٩٩٤).

١٨. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم، محمد بن أبي بكر، بيروت، دار المعرفة، (د. ط)، (١٩٧٨).

١٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٤)، (١٩٨٧).

٢٠. عمدة الحفاظ إلى أشرف الألفاظ، السمين، أحمد بن يوسف، تحقيق محمد السّور، الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٩٩٦).

٢١. فتح الباري، ابن حجر، أحمد بن علي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، (٢٠٠٢).

٢٢. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق عبدالرحمن اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٢٣. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، بيت الأفكار الدولية، بيروت، (د. ط)، (٢٠٠٤).

٢٤. كتاب العين، الخليل الفراهيدي، أحمد، تحقيق عد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (٢٠٠٣).

٢٥. الكشاف، الزمخشري، محمود بن عمر، ضبطه محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٩٩٥).

٢٦. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، (ط٣)، (٢٠٠٤).

٢٧. مجمل اللغة، ابن فارس، أحمد، تحقيق زهير عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط١)، (١٩٨٤).

٢٨. مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحقيق أحمد زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د: ط)، (٢٠٠٤).

٢٩. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، (ط١)، (١٩٧٩).

٣٠. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، الحسين بن محمد بن المفضل، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، (ط١)، (١٩٩٢).

٣١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (١٩٩٥).

٣٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).